المجلة العراقية للبحوث الانسانية والاجتماعية والعلمية
Iraqi Journal of Humanitarian, Social and Scientific Research
العدد 7 لسنة 2022- تشرين2
No. 7 – November 2022
ISSN 2710-0952 (Print) ISSN 2790-1254 (Electronic)

لغة النص في مدح الرسول ـ القصيدة البائية للأشبيلي انموذجا

م.د. حمزة صبيح عبد الشباني
hamzairaq71@yahoo.com
مكان العمل/ مديرية تربية الديوانية

الملخص:

يبقى الشعر آلة مطواعة يتصرف بها أمراء الكلام حيث شاءوا؛ لتختلف لغتهم عن اللغة اليومية(1)فالشاعر يبسط سيطرته على اللغة ويخرج بها عن المألوف ويهدمه؛ لبناء شكل جديد يتميز به عن سائر السياقات التواصلية(2)

ومن هنا عدَّ الأُدباء أنَّ اللغة هي الحجر الأساس الذي يبنى عليه الشعر؛ فهي "تُشَكِّلُ عصب الشعر ووجوده، ولا يمكن الدخول إلى عالم القصيدة مالم تكن اللغة الشعرية هي المدخل، وهي الطريق، فهي ليست أداة ولا وعاءً، لها شروطها الخاصة ومواصفاتها، وتضم أهم عناصر الشعرية والمجاز والاستعارة والصورة، والخيال، وهذه المفاهيم تتحد وتنصهر داخل بنية الشعر"(3)

ومما يجب هنا ذكره لا توجد الفاظ خاصة بالشعر وأُخرى بالنثر، فالألفاظ جميعها صالحة أن تكون في القصيدة وفي غيرها من فنون النثر؛ ولكن السياق هو المسؤول عن شعريتها، وعدم شعريتها، لذلك أصبح للنص الشعري كيانٌ خاصٌ ومعجمٌ يميزه عن سائر فنون الأدب؛ لأنَّها موحية ومعبرة تفصح عن ذاتها من خلال التميز البنائي فهي "أحساس ذاتي، وشعور ذاتي؛ إنَّها تؤكدُ نفسها بصفتها وسيلة أعلى من الرسالة التي تتضمنها وفوقها، فهي تجلب النظر بشكل متميز إلى نفسها وتشددُ بانتظام على صفاتِها اللغويةِ؛ بذلك لا تكون الكلمات مجرد وسائط لنقل الأفكار، وإنَّما أشياء مطلوبةٌ لذاتِها وكيانات محسوسة مستقلة ذاتياً"(4)

وانطلاقاً مما تقدم، يمكن القول أنَّ لكل شاعر أُسلوبه الخاص الذي فرضتهُ عليه تجربته الشعرية، وهي ما تمنحه دلالات جديدة للألفاظ، ومغادرة دلالتها الأصلية؛ فتتزين بكسوة جديدة بمجرد دخولها السياق الشعري فاضيةً عن الأسلوب الذي يتميز به الشاعر وينفرد به. ومن هنا يحاول هذا البحث الوقوف على لغة الشعر في قصيدة المدح النبوية عند أبي الحسن سلام الباهلي الأشبيلي:

كلمات مفتاحية : لغة النص ، مدح الرسول ، القصيدة البائية للأشبيلي

The language of the text in praise of the Messenger - the Ba'i poem of Ash-Shabili as a model

Dr. Hamza Sabeih Abd Al -Shabani
hamzairaq71@yahoo.com
Directorate of Education Diwaniyah

Abstract:

Poetry remains a pliant instrument with which the masters of speech act wherever they wish; So that their language differs from the everyday language (1). The poet simplifies his control over the language, taking it out of the ordinary and destroying it; To build a new form that distinguishes it from other communicative contexts (2)

Hence, the writers considered that language is the cornerstone on which poetry is built. It “constitutes the nerve of poetry and its existence, and it is not possible to enter the world of the poem unless the poetic language is the entrance, and it is the way of poetry " (3) What must be mentioned here is that there are no

words specific to poetry and others to prose. All the words are valid to be in the poem and in other arts of prose; But the context is responsible for its poetry, and its lack of poetry, so the poetic text has a special entity and a lexicon that distinguishes it from other arts of literature; Because it is suggestive and expressive, it expresses itself through structural distinction, as it is “a subjective feeling, a subjective feeling; it affirms itself as a medium above and above the message that it contains, it brings a distinct look to itself and stresses regularly on its linguistic qualities; thus, words are not mere means of transmission. Ideas are things that are required for themselves and are tangible, autonomous entities.” (4)

Based on the foregoing, it can be said that each poet has his own style imposed on him by his poetic experience, which gives him new connotations of words, leaving their original connotation; It is adorned with a new garment as soon as it enters the poetic context, shedding the uniqueness of the poet's style. Hence, this research attempts to identify the language of poetry in the poem of praise of the Prophet by Abu Al-Hassan Salam Al-Bahili Al-Ashbili:

Keywords: the language of the text, praise of the Prophet, the Baha'i poem of Al-Ashbiliyah

المبحث الأول: المعجم:

يُعد المعجم الشعري البحر اللُّغوي للشاعر الذي يستقي منه ألفاظه ومفرداته، لخلق تجربته الشعرية، ورسم قصيدته بالكلمات، فهو لا يكتفي بوضع الألفاظ ورصفها؛ بل يضعها في سياقات متعددةٍ قادرةً على منحها دلالات جديدة تكشف عن أسلوب لغوي ، يمثل الحقل الخاص بمعجم الشاعر(5)

وعند دراسة المعجم الشِّعري لأي شاعرٍ يجب أن نقف على المفردات التي يستعملها؛ لأنَّها "تومئ إلى أنَّ حالةً نفسيةً تتراكمُ عليها شبكة لفظية ذات دلالاتٍ معنوية ونفسية، يعبر عن تلك الحالةِ المستشعرةِ والتي تُهيمنُ على كيانِ الشاعر" (6)

والأشبيلي كغيره من الشعراء الذين اختطوا لأنفسهم طريقاً شعرياً تفرد به، وقد انعكس ذلك على معجمه الشعري، ومن خلال استقراء قصيدته النبوية وجدت له مجموعة من الألفاظ جعلتها في حقول دلالية هي(الفاظ الكرامات والمعاجز، الفاظ الصفات الإنسانية، الفاظ الدعاء، الفاظ الحب)

أولاً: الفاظ المعاجز والكرامات:

من يطلع على القصيدة البائية في مدح الرسول ﷺ عند الأشبيلي يجد شيوع طائفة من الألفاظ التي تبرز تدينه وتمسكه بالنبوة، والتسليم للرسول ﷺ، مصدقا بما جاء به، فذكر الفاظ الأعجاز، والكرامات التي وهباها الله تعالى له، منها: "محمد النبي، والنبي، أوقفهم إلى حكم الكتاب، أعدلهم فضاءً، جمع له الإله خصالاً، وأظهر من دلائله، معجزة، ونور مبين، كتابه المعجز، عظيماً، كَلَمه الذراع، دعا بالخير، دعائه مستجاب، برهان وآية، صلى عليه الخالق.."، وهذا يعني أنَّ هذه الألفاظ إنَّما انبثقت عن ولاء الشاعر وحبه للرسول ﷺ، والإقرار بعظمته ونبوته، وقيادته، ففي بيت القصيدة الأول:

"محمدٌ الفتى بلا ارتيابِ" "أجلّ فتى مشى فوق الترابِ"

يبدوا أنَّ لفظ (محمد) متشابك ومليء بالعلاقات مع القصيدة كلّها، إذ جميع من جاء بعده مرتبطاً به؛ فعمل على نشر مساحة واسعة من النشاط في إلحاق صفات المعاجز الأخرى، فساعد على إظهار هذا المنحى الدلالي، وردد الشاعر (نبي، معجزة، ونور مبين..).

أما ألفاظ الكرامات، كما في قوله:

"وأسرعهم إلى التحقيق جرياً" "وأوقفهم إلى حُكم الكتاب"

فلفظة (أكرمهم) هنا، ذات دلالة انفرادية، تضج بفضاء رحب ينتمي إلى قصر الصفة على الموصوف، ولذلك جاءت اللفظة منفتحة على التفرد حتى على ما بعدها من الأبيات:

"وأعدلهم قضاءً وهو راضٍ" "وحاشى أن يعدّ من الغضابِ"

وعلى وفق ما سبق يتضح أنَّ لفظة(محمد) اندمجت في روح الشاعر وعاطفته، فابتعد عن وصف المظهر الخارجي لشخص الرسول ﷺ، لينتقل على صفاته المعنوية ويجعلها ذات وشائج مترابطة بتلك اللفظة التي لايمكن الاستغناء عنها، وهذا ما يعزز ترابط وشائج النص وتشابكها.

ثانياً: الصفات الإنسانية:

كرر الأشبيلي الألفاظ الإنسانية التي تفرد بها الرسول ﷺ فكان لتلك الألفاظ حضورها الذي يجذب انتباه القارئ، ويترك في نفسيته بصمة ظاهرة للعيان، ومنها: "أجل فتى، وأكرم ماجد، وأنجد باسل، قاد سوابق الخيل، أتم الناس، وأصدقهم، وأرفعهم، وأشرفهم، أسرعهم، وأرأفهم، وأرحمهم، وأروى الكلّ.." وغيرها من الصفات، فيجعلها ردفاً لتفرده بالمعجزات والكرامات، ومن ذلك ما نجده في قوله:

"وأرأفهم وأرحمهم وأندى" "يداً في المكرمات من السحاب"

فالرأفة والرحمة خصها الشاعر للرسول ﷺ، وهي من صفاته التي ذكرها القرآن الكريم: **"وما بعثناكَ إلَا رحمةً للعالمين"**(7) فحاول الشاعر أن يوظف تلك الآية شعرياً مخصوصة بالرسول وخاصيته بين الرسل.

وكذلك قول الشاعر:

"دعا بالخير والبركات فيها" "وحسبك من دعاءٍ مستجابِ"

فلفظة (دعاء مستجاب) دلالة على مكانة الرسول عند الله سبحانه وتعالى، فلا ترد له دعوة، فكأنَّ الشاعر يريد أخبارنا أنَّ ذلك لا يتأتى لأيّ كان؛ وإنَّما خص به الله سبحانه وتعالى رسولنا الكريم صلى الله عليه وآله دون سائر البشر.

ثالثاً : الفاظ الحب :

ذهب البعض بأنَّ الخلجات النفسية تعد المنبع الرئيس للمعجم، كما يرى شتراوس، فضلاً عن الانفعالات والذكريات التي تتراكم في حياة الإنسان، وهو ما يطلق عليه بالمعجم السيكولوجي، وهذا ما يكون دالاً على الفرد عندما يبوح بها ويتحول إلى لغة، أو يكسب أشكاله الخاصة من خلال اللاشعور(8)، ولعل الظروف المحيطة بالكاتب والصراعات التي كانت تدور بالمغرب العربي آنذاك أصبح أثرها جلياً في نفس الشاعر، فحاكى الماضي، وحنَّ له، إذ كان فيه الرسول ﷺ خيمة على العرب، ومنقذٌ لها. من غير أن نغفل أثر الثقافة الدينية عنده، إذ كان للزهد حضوره(9)، ومن الفاظ الحب وميول النفوس للرسول صلى الله علي وآله وسلم التي ذكرها في القصيدة: "حطت عنده قلوص الركائب، ألذّ من الكرى، وأشهى للنفوس، وأندى في القلوب، تناجيه الحدائق، فتهديه التحية، حن الجذع.." ومن ذلك ما نجده في قوله:

"وما زال الحنين به إلى أن" "تكفّلـه بضـمٍ واقتـــرابِ"

ISSN 2710-0952 (Print) ISSN 2790-1254 (Electronic)

فلفظة الحنين نشعر من خلالها عشق الرجل لممدوحه وعظم حبه له، ذلك العشق الذي ملك الفؤاد ولم يترك له قدرة في التعبير؛ بل جعل حتى جذع الجسم يحن إليه ويشتاق، وهذا ما أفصح عنه البيت الذي قبله:

"وحنّ الجذع من شوقٍ إليه" "وأشفق من مفارقةِ الجنابِ"

فلفظة (الجناب) أثارت بعداً دلالياً في البيت، إذ أصبح الجذع من حنينه للمعشوق صعب القيادة لا يمكن السيطرة عليه.

ومن هنا يمكن القول أنَّ الأشبيلي جعل من الفاظه أسلوباً يشد القارئ إليه والسامع، فيعيش معه في لحظة القول، ويولد تجاوباً بينه وبين متلقيه، محاولاً جمعها برابط واحد، ألا وهو فن المديح.

المبحث الثاني: التراكيب:

أولاً: الفصل والوصل:

الوصل هو عطف الجمل على بعضها البعض(10)، والفصل هو ترك ذلك العطف(11) ،وقد ورد عنده الوصل في ثمانية وسبعين موضعاً، مستخدماً في ذلك ثلاثة حروف عطفٍ:

1- الواو/وتأتي بالمرتبة الأولى من بين حروف العطف، وقد وردت إحدى وستون مرة؛ لأنَّها" تفيد مع الإشراك معاني"(12)، ومن ذلك ما نجده في قوله:

"فسعي الموقنين إلى نجاحٍ" "وكيد الكافرين إلى تبابِ"

فالواو لم تكتفي باشراك صدر البيت بعجزه في المحل الإعرابي؛ بل جمع بين معنيين متناقضين، هما نجاح الموقن في سعيه، وخسران الكافر في كيده، فجعلها فنية للوصول إلى المعنى المقصود.

2- الفاء/ وقد كررها سبعة عشر مرة، " توجب الترتيب من غير تراخي" (13)، ومن ذلك، قوله:

"تناجيه الحدائق مفصحاتٍ " "فتهديه التحية في اليبابِ"

فالتحية جاءت من أثر المناجاة، أي بعدما ناجته الحدائق، أهدت له التحية، فجاء الأسلوب مرتب ترتيباً زمنياً من غير تراخي.

3- ثم/ وقد وردت في القصيدة مرة واحدة، وهي توجب الترتيب مع التراخي

(14)، في قوله:

"وأروى الكلّ ثمَّ أفاض حتى" "تحمّل في السقاء وفي الوطاب"

فكانت الإفاضة سبباً من الإرواء، فبعد زيادته أدى إلى الإفاضة.

أما الفصل فقد ورد في سبعة وثلاثون موضعاً في القصيدة، لتشابه الجمل بالخبرية، وقد ورد في تسعة وعشرون موضعاً، كقوله:

"لقد جمع الإله له خصالاً" "مطهّرة تجلّ عن الحسابِ"

أو لاختلافهما من حيث الخبر والإنشاء، وقد وردت في ثمانية مواضعاً، كقوله:

"و يا ربَّ العباد نداء عبد" "كثير الذنب يدعو للمتابِ"

ومن خلال ما ذكر آنفاً، يتضح لنا أنَّ الأشبيلي كان يفصل بين المعاني ويربط بينها، ثقة بفهم المخاطب، أو مراعاة منه مقتضى الحال، ولم يكتف في وصله على الواو، بل استخدم معه حروفاً أُخرى(الفاء، ثم)، وربّما كان هدفه تحقيق غاية جمالية يسمو إليها؛ فيحرص على أداء فكرته في وضوح لا لبس فيه؛ لتصل إلى المخاطب في جمال وجلاء.

ثانياً: الخبر والإنشاء/ قَسَّم البلاغيُّونَ الكلام إلى خبر وإنشاء، فالخبر كلُّ كلام له مضمون يمكن تحققه في الواقع أو عدم تحققه، فإن تحقق كان الكلام صادقاً، أما إذا لم يتحقق كان كِاذباً(15)، وقد كان صاحب النصيب الأكبر في القصيدة، إذ بلغ عدد الجمل الخبرية فيها سبعة وتسعون جملة، ومن ذلك ما نجده في قوله:

"براهين وآيـات عـظام" "جلـيّات تبكّـتُ كلّ آبي"

"ويزداد المطيع بها يقيناً" "يصيّره إلى حُسن المآبِ"

فبراهين الرسول ﷺ واضحات ولا تحتاج إلى مناقشة، ولا يستطيع أن يطعن بها أحد، ومن يتيقن بوجودها توصله إلى حسن العاقبة وتختم دينه ودنياه بالخير.

أما الإنشاء/ "فليس له مضمونٌ يمكن الحكم عليه، وذلك كقولنا للتلميذ(اكتب الدرس) فإنَّ هذه الجملة لا تتضمن شيئاً يمكن الحكمُ عليه؛ وإنَّما هي مجرد إنشاء كلامٍ، .... فالإنشاء هو الكلام الذي لا يمكن الحكم عليه بالصدق أو الكذب"(16)، وقد اقتصر الشاعر على الإنشاء الطلبي؛ ولعله أراد بتلك المغفرة والشفاعة، بنبي الرحمة ﷺ، وهذا ما أفصح عنه في قوله:

"فصلي الله خالقنا عليـه" "عداد الرمل أو قطر السحابِ"

"وأوسعنا شفاعته مُبيناً" "لفضل مكانه يـــوم الحـسابِ"

ومن يطلع على قصيدة الأشبيلي يجد أنَّ الإنشاء ورد عنده في ثلاثة عشر موضعاً، بصيغ مختلفة، فمنها **الأمر** الذي ورد ثمانية مرات، ستة منها **بصيغة فعل الأمر** كقوله:

"وأوردنا جنى الحوض المحلّى" "وأسـقنا بأَكـؤُسه الـــعِـــذابِ"

فأوردنا، وأسقنا، فعلي أمر خرجا لغرض المجاز، أفادا الدعاء؛ لأنَّهما صادرين من الأدنى إلى الأعلى.

وأثنان منهما بصيغة **أسم فعل الأمر**، وهما في أبياته:

"وحسبك منه معجزة تبدّت" "فلم يعلق بها ريبُ ارتيابِ"

وقوله:

"دعا بالخير والبركات فيها" "وحسبك من دعاءٍ مستجابِ"

ومن صيغ الإنشاء التي ذكرها الأشبيلي في قصيدته **الاستفهام**، وقد جاءت في ثلاثة مواضع جميعها بـ(كم) الاستفهامية التي أراد بها العدد، والتذكير، ومن ذلك قوله:

"وكم من دعوةٍ يوماً دعاها" "تقبّلها المجيب من المُجابِ"

فالشاعر أراد بالاستفهام تذكير المخاطب بأنَّ دعاء الرسول مستجاب من الله سبحانه وتعالى، فكم من دعوة له تحققت وأصبحت ظاهرة للعيان.

ومن صيغ الإنشاء الأخرى **النداء**، وقد ذكره مرتين، بحرف النداء الياء، وهما في قوله:

"و يا ربَّ العبـــاد نداء عبدٍ" "كثير الذنب يدعو للـمتابِ"

وقوله:

"و يا متصفحاً قولي أعنّي" "بدعوة مشفقٍ يرثي لما بي"

فالأول خرج النداء فيه إلى أُسلوب الدعاء، لأنَّه صادر من العبد إلى الرب، أمَّا الثاني فخرج لغرض الالتماس لأنَّه جاء بين منزلتين متساويتين.

ثالثاً: صيغة أفعل:

تعد هذه الصيغة من الصيغ المزيدة التي أخذت من مجرداتها ووضعت في صيغة جديدة؛ لتعبر عن ذلك المعنى المجرد، إضافة إلى المعنى الجديد(17) من غير مخالفة معنى الأصل أو تغييره(18)، وقد كرر الشاعر هذه الصيغة في ثمانية وعشرون موضعاً، هي:"أكرم، أنجد، أروع، أشهى، أعطر، أندى، أصدق، أرفع، أشرف، أسرع، أوقف، أعدل، أرأف، أرحم، وأندى، ألين، أعم، أوصل، أظهر، أشفق، أغدق، أروى، أسرع، أوسع، أودد، أسقا، أوجب"؛ ولعل الشاعر أراد من تكرار هذه الصيغة؛ هي تفضيل الرسول ﷺ على سائر المخلوقات، ومن ذلك ما نجده في قوله:

"وأشجع من تدرع في نزالٍ" "وأروع من تلفّع في ثيابِ"

فجعل الشاعر الشجاعة بالرسول الكريم ﷺ، وهو أشجع الناس في ساحات الوغى، لا ينازعه في هذه الصفة أحد، كذلك جعل التجلل بالثياب، أو الالتحاف بها، مقصوراً جماله على الرسول، ولا أحد أروع منه في ذلك، فجعل من صيغة أفعل طريقة للوصول إلى معنى المبالغة والقصور في الصفة.

ومثل ذلك قوله أيضاً:

"وأظهــر من دلائلـــه لديـه" "شواهد واضحات كالشهابِ"

فاتخذ من صيغة أفعل (أظهر) وسيلة لإظهار عظمة الدلائل التي لا يمكن دحضها من قبل المجحدين، فهي واضحة كالشهاب التي لا تخفى على عاقل.

المبحث الثالث: الصورة

تعد الصورةُ معلماً إشارياً لُغوياً بارزاً من معالم النص الشعري؛ وقد ذكرها العرب من خلال دراستهم للتشبيه والمجاز، واستعمل الجاحظ كلمة الصورة والتصوير فقال: "إنَّما الشعر صناعة، وضرب من النسج، وجنس من التصوير"(19)، وهي "تلك التي تقدم تركيبة عقلية وعاطفية، في لحظة من الزمن"(20)، عن طريق الكلمات(21)، وتقسم إلى:

أولاً: التشبيه: يعنى التشبيه بالتصوير الأدبي وربط الأشياء فيما بينها من أجل توضيحها، أو تقريبها؛ أو لإضفاء سمات جمالية على النص الأدبي(22)وقد ذكره الشاعر في موضعين، مستخدماً فيها أداة التشبيه الكاف، كقوله:

"وأظهر من دلائله لديه" "شواهد واضحات كالشهابِ"

ISSN 2710-0952 (Print) ISSN 2790-1254 (Electronic)

فالشاعر يقرب المسألة للمتلقي حسياً عن طريق التشبيه، لأنَّ الشهاب النور الساطع في الليلة الظلماء، الذي لا يخفى على عاقل، فدلائل الرسول ﷺ بالنبوة والإعجاز كذلك، لا تخفى على أحد، فجاء بالتشبيه كناية عن الأمر المسلم له.

ومثل ذلك قوله:

"فعمّهمُ وزاد ولم يكونوا" "تعمّهمُ جِفانٌ كالجوابي"

أي أنَّ دعوته لهم تميزت بالعموم، لكن لم يكن شيئاً أعمى جفونهم كعيهم عن جوابه.

ثانياً: الاستعارة: وتعني "نقل العبارة عن موضع استعمالها في أصل اللغة إلى غيره لغرضٍ؛ وذلك الغرض إما أن يكون شرح المعنى، وفضل الإبانة عنه، أو تأكيده، والبالغة، أو الإشارة بقليل من اللفظ، أو تحسين المعرض الذي يبرز فيه"(23)، وتُعد من أهم عناصر تشكيل الصورة الشعرية، بل هي أكثر بلاغةً من التشبيه؛ لأنَّها أقدرُ على الإيحاء والتخييل؛ فالشكل الاستعاري غير المألوف وهو أكثر ملائمة لتحقيق الجدة من التشبيه بفعل قابليته على احتواء المتناقضات(24)، وقد ذكرها في ثلاثة مواضع، ومن ذلك قوله:

"وحن الجذع من شوقٍ إليه" "وأشفق من مفارقة الجنابِ"

فاستعار لفظة (الجذع) من النخلة التي يحمل قلبها وثمرها، كما يعتبر موصل الغذاء لها عن طريق الجذر، للتعبير عن العمود الفقري عند الإنسان، الذي يعتبر مركز وقوفه وحركته، كناية عن طرب النفس وهيامها لشخصه الكريم ﷺ.

ومثل ذلك قوله:

"وكلمه الذراع بلا لسانٍ " "يعين على الكلام ولا إهاب"

فنسب الكلام للذراع، وأصله للسان، ولكن الاستعارة أجازت له ذلك ، وهو كناية عن الدفاع بالأيدي، التي يعان بها مع اللسان.

ثالثاً: الكناية: وهي لفظ"أريد به لازم معناه، مع جواز إرادة معناه"(25)الحقيقي؛ والذي يفهمه المتلقي من صريح لفظ الكناية، وربَّما غلبت اللغة الكنائية على القصيدة كلها، ولعلنا لا نجد بيتاً تخلى منها، ومن الكناية التي ذكرها الأشبيلي في قصيدته:

1- ما دلّ على الموصوف، كقوله:

"وأكرم ماجدٍ ركضت إليـه" "وحطتّ عنده قُلص الركاب"

"وأنجد باسلٍ ركبَ المطايا" "وقادَ سوابقَ الخيلِ العـرابِ"

فشرف المنزلة وعلوها، جعلت قلوص الركاب تلجأ إليه دون غيره، فهو أشجع مقاتل، وأبرز من تميز بالنجدة، وقاد سوابق الخيل العربية الأصيل، وكل تلك الصفات كناية عن الرسول ﷺ.

2-كناية عن صفة، كقوله:

"تناجيه الحدائق مفصحاتٍ" "فتهديه التحية في اليباب"

كناية عن شرف الرسول، ومكانته، حتى أصبحت كل المخلوقات تؤدي له التحية مهو محبب عند الخلق كله.

ISSN 2710-0952 (Print) ISSN 2790-1254 (Electronic)

فالكناية يلجأ إليها المتكلم لرسم صورة تعطي المتلقي حقيقة، مصحوبة بالدليل، أو طرح قضية وفي طيها برهانها، فتقرب المعنى وتجعله يسير الوصول، وهي سمة من سمات الفنون، التي تجعل عجز التعبير واضحاً مفهوماً.

المبحث الرابع: الموسيقى:

تمثل الموسيقى جوهر الشعر، كما أنَّها المدخل الذي يفتح فيها شفرات النص أحياناً، وتجعل القارئ يستمتع بجمال القصيدة ويطرب إليها، فهي من الأركان الواجب توافرها لجعل الكلام العادي شعراً؛ لذلك لا يوجد شعر بدونها، ومن هنا يحاول هذا المبحث دراستها وفق فقرتين:

أولاً: الوزن الشعري: هو الخصيصة الأساسية لموسيقى الشعر، إذ إنه معيار، يتم على وفقهِ ترصيف مجموعة من الكلمات ذات الإيحاء الشعري(25)ويرى ريتشارد بأنَّه: "الوسيلة التي تمكن الكلمات من أن يؤثر بعضها في البعض الآخر على أكبر نطاق ممكن. وفي قراءة النص الموزون يزداد تحديد التوقع زيادة كبرى؛ بحيث أنَّه في بعض الحالات التي تستعمل فيها القافية أيضاً، يكاد يصبح التحديد كاملاً"(26)

وقد اختار الأشبيلي البحر الوافر قالباً لقصيدته؛ إذ وجده وافياً لتعبير عن حالته النفسية، وما يتمتع بها هذا البحر من موسيقى تلائم غرض المدح، وكافياً في استيعاب المشاعر، فحاول أن يصب فيه كلماته، ويبوح ما مكنون بداخله.

ثانيا: الإيقاع الداخلي:

-التدويم: وهي وسيلة يلجأ إليها بعض الشعراء؛ بغية تصعيد الوجد الموسيقي(27)، وتعني"تكرار النماذج الجزئية والمركبة بشكل متتابع أو متراوح؛ بغية الوصول إلى درجة عالية من الوجد الموسيقي"(28)، وقد أفاد الشاعر من هذه التقنية الإيقاعية في تصعيد الموسيقى التي تتواءم فيها النصوص مع الدلالة، ومن ذلك في أبياته:

"أتمّ الناس ميثاقاً وعهـــــداً" "وأصدقهم مقالاً في الخطابِ"

"وأرفعهم نصاباً في المعالـي" "وأشرفهم قديماً في انتسـابِ"

"وأسرعهم إلى التحقيق جرياً" "وأوقفهم إلى حُكم الكـــتابِ"

لجأ الشاعر إلى توظيف الوزن(أفعل) في إطار تدويمي؛ بغية التكثيف الدلالي المؤكد لحسن الصفات التي يتصف بها الرسول الأكرم ﷺ، فهو وفيَّ العهد، صادق القول، لا يوازي معاليه أحد، وأقدمهم حسباً وشرفاً، وأعلمهم بحكم القرآن، ولم يشاركه في ذلك أحد.

ثانياً: التضاد: وسيلةٌ أخرى من وسائل إقامة الموسيقى الداخلية، لما لها من أثر فاعل في توجيه التماس مباشر بين لفظتين متعاكستي الدلالة، الأمر الذي يخلق شداً ينعكس على الموسيقى(29)فضلاً عن كونه وسيلة من وسائل تحقيق الإيقاع الذي نشأ من العلاقة العكسية بين دلالة الكلمات، وهذا التضاد من شأنه أن يُحدث شدّاً يوجه انتباه السامع أو المتلقي(30)ومن أبياته التي وظف فيها الأشبيلي التضاد:

"وزوّد من قليلِ التَّمرِ خَلقاً" "كثيراً أصبحوا صفر العيابِ"

استطاع الشاعر من خلال(قليل- كثير) أن يحقق شدّاً وهذا الشَّدُ لا يعني التقاطع الإيقاعي، وإنَّما السعي إلى وجدٍ إيقاعي مترابط، ومتصل ؛ وبذلك نجح في إيصال الدلالة التي تفضي إلى الحلول في دائرة المدح.

ISSN 2710-0952 (Print) ISSN 2790-1254 (Electronic)

ومنها، قوله:

"تعاهدهم بذاك وذا مراراً" "تقرّر في المقام وفي الذهاب"

فجمع الأشبيلي بين لفظين متضادين هما: (مقام - ذهاب)؛ لخلق مساحة موسيقية، في محاولة منه للتعبير عن كرم الرسول ﷺ.

ثالثاً المقابلة: هي أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو أكثر، ثم بما يقابل ذلك على وجه الترتيب(31)، وقد تكررت المقابلة عنده، وقلما خلا منها بيتاً ومن ذلك قوله:

"ألذ من الكرى بين الجفونِ" "وأشهى للنفوس من الشبابِ"

فقابل بين لذة الراحة بين الجفون ، وشهوة النفس إلى الشباب، فرؤية الرسول تعبر عن الطمأنينة التي ترتاح الجفون برؤيتها، كما أنَّ النفوس تطرب إليه فهي أشهى له من الشباب بعد شيب الأنسان.

ومثل ذلك قوله:

"براهين وآيات عظام" "جليّات تبكّتُ كلّ آبي"

فقابل الشاعر بين (براهين – جليات) و(آيات عظام – تبكت كل آبي)؛ من أجل توليد إيقاعاً خاصاً بين جلوَّ البراهين، والآيات التي بكت كل آبي؛ وفي هذا حركة شدَّ إيقاعية تفعل فعلها في وجدان المتلقي.

ومن خلال ماتقدم ذكره سابقاً يتضح لنا أنَّ الأشبيلي خطّ لنفسه أُسلوباً في تنقي الألفاظ وتخيرها، وربط بعضها بالبعض الأخر، مع ملائمة الغرض الفني للقصيدة، والوزن الشعري لها، ليسعى من خلال ذلك إظهار حالته النفسية وجذب انتباه المتلقي، في عصر شاع فيه الفتن واقتتال المسلمين فيما بينهم، من غير أن يخمد نارها مصلح، فأصبح الجميع يحن لعصر الرسول ويتمنون عودته، لينقذ الناس من الهلاك والدمار الذي أصابهم.

1- ينظر: منهاج البلغاء:143-144

2- ينظر: الشمعة والصباح، د. عبد الكريم راضي جعفر:88

3- اللغة الشعرية في الخطاب النقدي العربي، محمد رضا مبارك: 102

4- ينظر: لغة الشعر الحديث في العراق بين مطلع القرن العشرين والحرب العالمية الثانية، د. عدنان العوادي:19

5- ينظر: اللغة الشعرية في الخطاب النقدي العربي، محمد رضا مبارك: 84

6-رماد الشعر، عبد الكريم راضي جعفر: 129

7- سورة

8- ينظر: الأسطورة والمعنى، كلود ليفي شتراوس: 80

9- ينظر: الذخائر والأعلاق:9

10- ينظر: مفتاح العلوم:382

11-ينظر:م.ن: 357

12-دلائل الإعجاز: 224

13-م.ن

14-ينظر: م.ن: 224

15-ينظر: الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة:24/2

16-م.ن

17-ينظر: الممتع لابن عصفور: 48/1

18- علم الاشتقاق: 48

19-الحيوان، للجاحظ: 132/3

20- الشعر العربي المعاصر: 134

21- ينظر: في المصطلح النقدي، د. احمد مطلوب: 205

22- ينظر: أصول البيان العربي(رؤية بلاغية معاصرة) :64

23- كتاب الصناعتين: 268

24- ينظر: تطور الصورة الفنية في الشعر العربي الحديث:156

25- ينظر: البنية الإيقاعية في شعر حميد سعيد: 17-18

26- بناء القصيدة في النقد العربي القديم(في ضوء النقد الحديث): 159

27- ينظر: رماد الشعر: 328

28- ظواهر أسلوبية في شعر شوقي، صلاح فضل، مجلة فصول:211

29- ينظر: رماد الشعر: 318

30- ينظر: البنية الإيقاعية في شعر الجواهري: 232

31- ينظر: علم البديع: 126

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

- الاسطورة والمعنى، كلود ليفي شتراوس، ترجمة شاكر عبد الحميد، مراجعة: د. عزيزة حمزة، دار الشؤون الثقافية العمة، بغداد، ط1- 1986م.

- أُصول البيان العربي(رؤية بلاغية معاصرة)، محمد حسن الصغير، دار الشؤون الثقافية، بغداد – 1986م.
- الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب، ط1- 2007م.
- بناء القصيدة في النقد العربي القديم(في ضوء النقد الحديث)، يوسف حسين بكار، دار الأندلس، بيروت، ط2- 1982م.
- البنية الايقاعية في شعر الجواهري، مقداد محمد شكر، دار دجلة، ط1، 2007م.
- البنية الإيقاعية في شعر حميد سعيد، حسن الغرفي، دار الشؤون الثقافية، بغداد- 1989م.
- تطور الصورة الفنية في الشعر العربي الحديث، نعيم اليافعي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق- 1983م.
- الحيوان، أبو عمرو بن بحر الجاحظ ت(255هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، القاهرة، 1928م.
- دلائل الأعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ت(474هـ)، قرأه وعلق عليه: أبو فهر، محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ط3- 1992م.
- الذخائر والأعلاق في آداب النفوس ومكارم الأخلاق، لأبي الحسن سلام بن عبد الله بن سلام الباهلي الأشبيلي، ت(455هـ)، اعتنى به: د. احسان ذو النون الثامري، دار صادر، بيروت.
- رماد الشعر، عبد الكريم راضي جعفر، دار الشؤون الثقافية، بغداد- 1984م.
- الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، د. عز الدين اسماعيل، دار العودة، بيروت، ط3- 1981م.
- الشمعة والصباح، عبد الكريم راضي جعفر، دار الشؤون الثقافية، بغداد- 1993م.
- ظواهر أُسلوبية في شعر شوقي، د. صلاح فضل، مجلة فصول، عدد يوليو، تموز- 1981م.
- علم البديع(دراسة تأريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع)، بسيوني عبد الفتاح فيود، مؤسسة القاهرة، ط2- 2008م.
- في المصطلح النقدي، د. أحمد مطلوب، مطبعة المجمع العلمي- 2002م.
- كتاب الصناعتين، لأبي هلال العسكري، ت(395هـ)، تحقيق: محمد أبي الفضل ابراهيم، وعلي محمد البجاوي، المكتبة العصرية، بيروت- 1986م.
- لغة الشعر الحديث في العراق بين مطلع القرن العشرين والحرب العالمية الثانية، عدنان العوادي، وزارة الثقافة والاعلام- 1985م.
- اللغة الشعرية في الخطاب النقدي المعاصر، محمد رضا مبارك، دار الشؤون الثقافية، بغداد- 1993م.
- مفتاح العلوم، أبي يعقوب بن محمد السكاكي، ت(626هـ)، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2- 2011م.
- الممتع، لأبن عصفور الأشبيلي، ت(66هـ)، تحقيق: د. فخر الدين قباوة، مكتبة لبنان ناشرون، ط1- 1996م.
- منهاج البلغاء وسُراج الأُدباء، حازم القرطاجني، ت(684هـ)، تقديم وتحقيق: محمد الحبيب خوجة، دار الغرب الإسلامي، ط4- 2007م.